وَأَخْلَصَ اللَّهُ لِلإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ
وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلَائِهِ الأُمَمُ[١]
وَمَا أَخُصُّكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا[٢]

على قدر أهل العزم..

يمدحه ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة(٩٥٤م):

[الطويل]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ[٣]
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وتَصْغُرُ فِي عينِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ[٤]

---

(١) الآلاء: النعم والخيرات. لقد جعل اللّه عز وجل نصر الإسلام على يديه لإعزاز دينه ورفعة المسلمين، والجانب الآخر مما امتاز به الأمير كثرة عطاياه، فكرمه شمل سائر أمم الأرض، فهو يوزّع من فضل اللّه تعالى بلا حساب.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٣. إن تهنئة الأمير بالسلامة لا تتوقّف عليه دون سِواه، بل إن التهنئة تشمل سائر الناس، فبسلامته يسلم الجميع من كلّ الآفات والمصائب، لأنه المعوّل عليه في حمايتهم وانتصارهم على عدوّهم اللدود من الروم وسواهم.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٨. العزم: القوّة والإرادة. العزائم، الواحدة عزيمة: القدرة. الكرام، الواحد كريم: الجواد. المكارم، الواحدة مكرمة: الفضائل. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية ببيت حكمي جميل، فالأفعال العظيمة منوطة بأصحابها؛ فأولو القوّة لا يأتون إلّا بما يدلّ على عظمتهم من جليل الأعمال وعظيم الأفعال، وهؤلاء من نسيج خاصّ نسجتهم يد القدرة وغمستهم في بحر الوجود الطامي بعظيم الأحداث، وهم بطبيعتهم كرماء جُبلوا من عجينة العظمة والكرم؛ إنهم مؤهّلون لكلّ مكرمة.

(٤) يُردف الشاعر منوّهاً بعظمة سيف الدولة؛ فالصغار أعمالهم تدلّ عليهم، يمتازون بقصر النظر وفتور الهمّة بحيث لا يرون حتى في أصغر الأعمال إلاّ الرعب والهول =

يـكـلِّـفُ سـيْـفُ الـدَّوْلَـةِ الْـجَـيْـشَ هَـمَّـهُ
وَقَـدْ عَـجِـزَتْ عَـنْـهُ الـجُـيـوشُ الـخـضَـارِمُ[١]
ويـطـلـبُ عِـنْـدَ الـنَّـاسِ مـا عِـنْـدَ نَـفْـسِـهِ
وذٰلِـك مـا لا تَـدَّعِـيـهِ الـضِّـرَاغِـمُ[٢]
يُـفـدِّي أَتَـمُّ الـطَّـيْـرِ عُـمْـراً سِـلَاحَـهُ
نُـسُـورُ الْـمَـلَا أَحْـداثُـهـا والْـقَـشَـاعِـمُ[٣]
وَمَـا ضَـرَّهَـا خَـلْـقٌ بِـغَـيْـرِ مَـخَـالِـبٍ
وَقَـدْ خُـلِـقَـتْ أَسْـيَـافُـهُ وَالْـقَـوَائِـمُ[٤]

= ممّا يشلّ إراداتهم ويُضعف إمكاناتهم، وبالمقابل هناك من يمتازون بالصلابة وقوّة الإيمان بما يملكون من طاقات خلّاقة مبدعة بحيث تصغر كلّ الصعاب في أعينهم فيستهينون بها ويدفعهم إلى التغلّب عليها بما أوتوا من عزائم، وسيف الدولة أحد هؤلاء إن لم يكن الوحيد في عصره.

(١) الهمّ: الهمّة والعزيمة. الخضارم، الواحد خضرم: الكثير من كلّ شيء. لدى سيف الدولة طموح لا حدّ له، ومع ذلك فإنه لا مفرّ له من أن يعوّل على جيشه فيكلّفه تنفيذ رغباته، والحقّ أن هذا الجيش قام بما تعجز عنه جيوش كثيرة العدد والعُدد؛ وقد أفلح في ذلك، ومع ذلك فإن الأمير ملحاح يطلب من جيشه المزيد.

(٢) الضراغم، الواحد ضرغام: من أسماء الأسد. يعتقد العظيم أن سائر الناس على شاكلته، وهم في الحقيقة على شاكلته في الظاهر ولكن عند التجربة تجدهم يختلفون في الجوهر والطبيعة، فهو يتطلب منهم أكثر ما لديهم من قدرات، وهذا ما لا تدعيه الأسود حقيقة، فالأمير أسد مهيب وشجاع عظيم.

(٣) القشاعم من النسور، الواحد قشعم: المعمرة منها. ولكثرة قتلاه وضحاياه من الأعداء التي تغطّي الأرض، إذا بالنسور القمّامة صغارها والمعمّرة منها تفدي سلاحه وتتمنّى له الدوام في الحياة وتوالي الانتصارات.

(٤) المخالب، الواحد مخلب: البراثن. القوائم، الواحد قائم: مقابض السيوف. يردف الشاعر متمماً فكرته، فالقشاعم والصغار من النسور لا يضرّها لو خلقت بلا مخالب لأن سيوف الأمير كفيلة بأن تقوم بأود هؤلاء بأهون الطرق وأسهلها لكثرة قتلاها من أعدائه.

هَـلِ الـحَـدَثُ الْـحَـمْـرَاءُ تَـعْـرِفُ لَـوْنَـهَـا
وَتَـعْـلَـمُ أَيُّ الـسَّـاقِـيَـيْـنِ الْـغَـمَـائِـمُ[١]
سَـقَـتْـهَـا الْـغَـمَـامُ الْـغُـرُّ قَـبْـلَ نُـزُولِـهِ
فَـلَـمَّـا دَنَـا مِـنْـهَـا سَـقَـتْـهَـا الْـجَـمَـاجِـمُ[٢]
بَـنَـاهَـا فَـأَعْـلَـى وَالْـقَـنَـا يَـقْـرَعُ الـقَـنَـا
وَمَـوْجُ الْـمَـنَـايَـا حَـوْلَـهَـا مُـتَـلَاطِـمُ[٣]
وَكَـانَ بِـهَـا مِـثْـلُ الْـجُـنُـونِ فَـأَصْـبَـحَـتْ
وَمِـنْ جُـثَـثِ الْـقَـتْـلَـى عَـلَـيْـهَـا تَـمَـائِـمُ[٤]

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. الحدث: قلعة ابتناها سيف الدولة على تخوم بلاد الروم، وكانوا غلبوا عليها وتحصنوا بها ففاجأهم، وكان بينهم قتال شديد انتهى بمذبحة عظيمة لهم، ثم أعاد بناءها، فوصفت بالحمراء. الغمائم، الواحدة غمامة: السحب المليئة بالأمطار. إنها وقفة تأمل حملت الشاعر على التساؤل هل تعلم القلعة لونها الحقيقي، فقد أعطتها دماء قتلى الروم اللون الأحمر، وفي نفس الوقت أمطرت السماء مباركة هذا الانتصار، فإذا بالألوان تمتزج وتختلط، فيحار المرء بأيّ الألوان صبغت.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. الغمام، الواحدة غمامة: السحب المليئة بالمطر. الغرّ: الأبيض. يُتمّ الشاعر صورة الحدث بتسارع عجيب، فالمطر الطاهر قام بعملية الإرواء السماوية المباركة، فإذا بمباركة من سيوف الأمير تتبع تلك المباركة بمباركة دموية، رؤوس تتساقط سراعاً إيذاناً بنصر مؤزر.

(٣) القنا: الرماح. يصوّر الشاعر حركة الموت العنيفة المصاحبة لتسارع البناء الذي راح يعلو ويعلو، فالبناؤون يعملون بجدّ وبوتيرة متسارعة لضيق الوقت، وفي الجانب الآخر من المشهد حرب ضروس تدور رحاها بين جند الأمير والروم، تلاحم عنيف، أصوات تعلو وأصوات حشرجات، وكأننا أمام مشهد بحر عاصف يبتلع كل شيء مصحوباً بهدير يصمّ الآذان.

(٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. التمائم، الواحدة تميمة: التعويذة يتوقى بها مسّ الجنّ. الحرب جنون، لأنه نتيجة حالة من فوران المشاعر الغاضبة والحماس المندفع بقوّة اللاوعي لدى المتحاربين، إنها سوق الهرج والمرج، وفجأة يُسيطر سكون مُمضّ كأنه العدم بذاته، وتشفياً بالأعداء عمد =

طَـرِيـدَةُ دَهْـرٍ سَـاقَـهَـا فَـرَدَدْتَـهَـا
عَـلَـى الـدِّيـنِ بِـالْـخَـطِّـيِّ وَالـدَّهْـرُ رَاغِـمُ[١]
تُـفِـيـتُ الـلَّـيَـالِـي كُـلَّ شَـيْءٍ أَخَـذْتَـهُ
وَهُـنَّ لِـمَـا يَـأْخُـذْنَ مِـنْـكَ غَـوَارِمُ[٢]
إِذَا كَـانَ مَـا تَـنْـوِيـهِ فِـعْـلاً مُـضَـارِعـاً
مَـضَـى قَـبْـلَ أَنْ تُـلْـقَـى عَـلَـيْـهِ الْـجَـوَازِمُ[٣]
وَكَـيْـفَ تُـرَجِّـي الـرُّومُ وَالـرُّوسُ هَـدْمَـهَـا
وَذَا الـطَّـعْـنُ آسَـاسٌ لَـهَـا وَدَعَـائِـمُ؟[٤]

= الأمير إلى تعليق جثث الصرعى من الروم على حيطان فبدت كأنها تمائم لحمايتها من كيد الروم في قابل الأيام.

(١) الطريدة: المطرودة. الخطي: الرماح. راغم: ذليل. يُردف الشاعر أن تلك القلعة مقصد الروم دائماً يعملون على خرابها وتهديمها، فكانت من الطرائد السهلة لمن حاول الإيقاع بها، حتى عزم الأمي على تحريرها من ربقة الغزاة، فكان له ما أراد، وبذلك أرغم الدهر على حكم عادل صاغه الأمير بنفسه.

(٢) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٨٨. تفيت: تترك. الغوارم، الواحدة غارمة: الدين وما يلزم بأدائه. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً بقوّته، وصراع الإرادة ليست بين إنسان وآخر، إنه صراع بين الإنسان والزمن؛ فالليالي تتخلّى عن أيّ شيء انتزعه الأمير منها، ولم يعد بحوزتها، وفي المقابل فإنها لا تستطيع الاحتفاظ بما سلبته من الأمير لعلمها أنه سيعمل جاهداً على استرداده بقوّته وإرادته، فكأنها قد استدانته، ولا بدّ لها من إعادته لصاحب الحق.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. يُردف الشاعر مخاطباً الأمير بأنه جادّ في ما ينوي فعله، فهو لا يعرف التردّد، بل إنه يُسارع إلى تنفيذ ما يرى في تنفيذه صواباً، فإذا به يسبق الزمن المستقبل قبل أن تحول دون تنفيذه عوائق خارجة عن إرادته، لأنها أقوى على التنفيذ حتى قبل أن توضع الجوازم على الفعل المضارع، فإذا به يتحوّل إلى ماضٍ فاقد الحركة.

(٤) الآساس، الواحد أسّ. الدعائم، الواحد دعامة: عماد البيت. من طبع أمم الغرب منذ كان الإسلام الاجتماع على مقاتلته في كلّ زمان ومكان تواجد فيه، لذا فقد اتّحد الروم والروس لمقاتلته في الحدث كعادتهم، ولكن خاب أملهم فثمّة من يحميها =

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ (١)
أَتَوْكَ يَجُرُّونَ ٱلْحَدِيدَ كَأَنَّمَا
سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ (٢)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ
ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ (٣)
خَمِيسٌ بِشَرْقِ الأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ
وَفِي أُذُنِ ٱلْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ (٤)

= بسلاحه ويُقيمها ويُعلي بنيانها بسواعده؛ وتلك دعائم ثابتة قوامها إرادة صلبة وعزيمة لا تلين.

(١) المنايا، الواحدة منية: الموت. إنها محاكمة عادلة، فالمدّعي ظالم غاشم والضحيّة تلك القلعة والمحامي بارع في الدفاع يستعين بجيشه وعتاد حربه، فإذا به ينتصر لها، وكان لا بدّ من تنفيذ حكم القضاء فكان أن قضى المدّعي الكاذب فأهلكه وأراح الضحية من الجاني.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. السرى: السير ليلاً. الجياد: الخيول. يصف الشاعر مسير جيوش الأعداء، لقد اغتنموا ظلمة الليل علّهم يصيبون من الأمير وجنده غِرّة، فيُنزلون به هزيمة نكراء، ولقد استعدّوا استعداداً عظيماً، بالمدد والسلاح، حتى جيادهم وضعوا عليها التجافيف لحمايتها من الرماح والنبال، فبدا زحفهم كأنه يتقدّم إلى ساحة بجياد تسبح بلا قوادم.

(٣) البرق: اللمعان. البيض: السيوف. يردف الشاعر متمّماً وصف مسير جيوش الروم، لقد تسربل الجنود منهم بالحديد، ولا شكّ أن المبالغة باستعمال الحديد تشلّ لديهم سرعة الحركة في التقدّم والقتال كما أنها تعني شدّة خوفهم لذا فقد لجأوا إلى الاحتراس الشديد؛ فإذا بسيوفهم ودروعهم وخوذهم في حال عكست الشمس ضوءها وحرارتها عليهم تبدو كأنها بحر من ضياء يتحرك موجه بعنف مشعّ.

(٤) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٣٥. الخميس: الجيش العظيم المؤلف من خمس فرق. الجوزاء: نجمان معترضان في جوز السماء: أي وسطها، وهما من البروج. الزمازم الأصوات التي لا تفهم لاختلاف لغات أصحابها. يُتابع الشاعر وصف ذلك إنه عظيم، يتألف من خمس فرق حتى إنه غطّى الأرض، شرقها =

تَـجَـمَّـعَ فِـيـهِ كُـلُّ لِـسْـنٍ وَأُمَّـةٍ
فَـمَـا تُـفْـهِـمُ الْـحُـدَّاثَ إِلَّا الـتَّـرَاجِـمُ[١]
فَـلِـلّـهِ وَقـتٌ ذَوَّبَ الْـغِـشَّ نَـارُهُ
فَـلَـمْ يَـبْـقَ إِلّا صَـارِمٌ أَوْ ضُـبَـارِمُ[٢]
تَـقَـطَّـعَ مَـا لَا يَـقْـطَـعُ الـدِّرْعَ وَالْـقَـنَـا
وَفَـرَّ مِـنَ ٱلأَبْـطَـالِ مَـنْ لَا يُـصَـادِمُ[٣]
وَقَـفْـتَ وَمَـا فِـي الـمَـوْتِ شَـكٌّ لِـوَاقِـفٍ
كَـأَنَّـكَ فِـي جَـفْـنِ الـرَّدَى وَهْـوَ نَـائِـمُ[٤]

= وغربها، والزحف يتقدّم، والأصوات تتعالى لإثارة همم الجنود، لذا لا يُفهم منها شيء، وقد تخطّت كبد السماء حتى أدركت أذن الجوزاء، فأدركت أن صراعاً عنيفاً سيداهم سكّان الأرض.

(١) اللسن: اللغة. الحدّاث: المتخاطبين. التراجم: المترجمون. يُتمّ الشاعر رسم الصورة التي كان عليها ذلك الجيش العظيم، لقد اجتمع فيه جنود من أقوام عديدة، لغاتهم مختلفة باختلافهم، وجيش كهذا لا يمكن له أن ينتصر، فكلّ أمّة تأتمر بأمر قائدها، والمفروض أن الكلّ يأتمرون بقائد واحد يتلقّى منه قواده أوامره بلغة يفهمها الجميع، وهذا لا يتأتى لهم في حالتهم تلك، ممّا يُبيح للمترجمين محاولة جمع هذا الشتيت من اللغات واللهجات، وقد لا يوفّقون في القيام بمهمتهم تلك.

(٢) و (٣) الغش: ما يخدع النظر، تبدو عليه القوة، وهو رعديد جبان، أو سلاح غير فعّال في ساحة الميدان. الصارم: السيف البتّار. الضبارم: البطل الشجاع. يعجب الشاعر بالحقيقة التي تجلّت، فقد كشفت الحرب حقيقة المشاركين فيها، لقد تهاوى الضعفاء وانتكس الجبناء أمام ضرب السيوف الصادقة العزم والتي صمدت صمود الجبابرة، فإذا بنار الحرب تلتهم من لديه قابلية الاحتراق؛ إنه زيف وبهتان انجلى عن حقيقة مروّعة، فكانت النتيجة أن الضعيف من تلك السيوف قد تكسّر فانكسر أصحابها وانهارت قواهم، وكان عليهم أن يلاقوا مصيراً محزناً أو أن يفرّوا مؤثرين الحياة على الموت يكلّلهم عار الجبن، فتركوا الصدام لسواهم ليلاقوا مصيرهم المحتوم.

(٤) ورد البيت في: حاشية يس على التصريح ١: ٢٢٠، وورد البيتان المتتاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. الردى: الهلاك، الموت. يُخاطب الشاعر الأمير، إنّه يتحدّى الموت في وسط المعركة. والأبطال يتهاوون أمام ضرباته، وهو =

تَـمُـرُّ بِـكَ ٱلأَبْـطَـالُ كَـلْـمَـى هَـزِيـمَـةً
وَوَجْـهُـكَ وَضَّـاحٌ وَثَـغْـرُكَ بَـاسِـمُ[١]
تَـجَـاوَزْتَ مِـقْـدَارَ الـشَّـجَـاعَـةِ وَالـنُّـهـى
إِلَـى قَـوْلِ قَـوْمٍ أَنْـتَ بـالْـغَـيْـبِ عَـالِـمُ[٢]
ضَـمَـمْـتَ جَـنَـاحَـيْـهِـمْ عَـلَـى الْـقَـلْـبِ ضـمّـةً
تَـمُـوتُ الْـخَـوَافِـي تَـحْـتَـهَـا وَالْـقَـوَادِمُ[٣]
بِـضَـرْبٍ أَتَـى الْـهَـامَـاتِ وَالـنّـصْـرُ غَـائِـبٌ
وَصَـارَ إِلَـى الـلّـبَّـاتِ وَالـنّـصْـرُ قَـادِمُ[٤]

= لا يلين، بل إنه يشتدّ باشتداد أوار المعركة، والموت بعيد عنه، وكأن الموت غافل عنه مع أنه في جفنه المغمض؛ الحقيقة أن أمثال الأمير كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر، وأن الموت سيأتيهم مرّة واحدة إذا توافرت له الظروف؛ لذا فقتالهم مع الأعداء قدري بذاته.

(١) كلمى، الواحد كليم: جرحى. هزيمة: مهزومين. وضاح: مشرق جميل. يُخاطب الشاعر الأمير بما يُثير في نفسه الاعتزاز والفخار، فإذا به يقف على منصة عرشه يمتطي جواده، يستعرض موكب الأسرى المنهزمين، إنهم أبطال، وقد فقدوا بطولتهم أمام بطل من العيار الثقيل، فإذا بجراحهم تكشف لهم حقيقة بطولاتهم القاصرة أمام جبروت المنتصر، البسمة تعلو ثغره، إنها بسمة الاعتزاز لا يلتبس بها غرور وكبرياء مزيّف، إنها الثقة بالذات وبربّ السماء والأرض سبحانه الناصر الحقيقي، فمنه النصر وبه الظفر.

(٢) النهى: الواحد نهية: العقول. يُنوّه الشاعر بشجاعة وصبر الأمير؛ كلّ شيء له حدود يقف عندها، أما بالنسبة للأمير فقد أثار دهشة الشاعر لتجاوزه الحدود لبني البشر. والحقيقة أن الأمر يتعلّق بالمصير، والمصير يستوجب على البشر أن يحطّموا الحدود إلى منطلق أرحب وأوسع ليحقّقوا لأنفسهم مصيراً مخالفاً لما يُتوقّع، وهذا لا يتأتى إلّا لمن أوتي بصيرة وكشفاً غيبياً وحدساً صادقاً، وذلك لا يتطلّب اضطلاعاً على الغيب، فالاضطلاع على الغيب مغامرة لا تُحمد عقباها، لأن الغيب بيد اللّه سبحانه وتعالى.

(٣) و (٤) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. يقصد الجناحين: ميمنة الجيش وميسرته. قلبه: الكتيبة في وسطه. القوادم: عشر ريشات =

حَـقَـرْتَ الـرُّدَيْـنِـيَّـاتِ حَـتّـى طَـرَحْـتَـهَـا
وَحَـتّـى كـأنَّ الـسَّـيْـفَ لِـلـرُّمْـحِ شَـاتِـمُ[١]
وَمَـنْ طَـلَـبَ ٱلْـفَـتْـحَ ٱلْـجَـلِـيـلَ فـإنَّـمَـا
مَـفَـاتِـيـحُـهُ الْـبِـيـضُ ٱلْـخِـفَـافُ الـصَّـوَارِمُ[٢]
نَـثَـرْتَـهُـمُ فَـوْقَ الْأُحَـيْـدِبِ كُـلِّـهِ
كـمـا نُـثِـرَتْ فَـوْقَ الْـعَـرُوسِ الـدَّرَاهِـمُ[٣]
تَـدُوسُ بِـكَ ٱلْـخَـيْـلُ ٱلْـوُكُـورَ عَـلَـى ٱلـذُّرَى
وَقَـدْ كَـثُـرَتْ حَـوْلَ ٱلْـوُكُـورِ الْـمَـطَـاعِـمُ[٤]

= في معدم جناح الطائر. الخوافي: ما تحتها. الهامات، الواحدة هامة: الرؤوس. اللبات: النحور. يصف سرعة ذلك والخطّة العسكرية التي اتّبعها الأمير ممّا يدل على درايته في قيادة المعارك وعلمه بفنون القتال، سارع إلى ضمّ جناحي الجيش بسرعة عجيبة بحيث يُؤدّي ذلك إلى تخلخل في الدفاع وارتباك بين صفوف الجيوش، فإذا بهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم لضيق مجال حركتهم، وفي الخطة كهذه يُعمل الجند المحيطون بأعدائهم سيوفهم وأسلحتهم بهجمة صادقة تُزيل الرؤوس عن أجسادها، ويكون النصر، وبشائره تلتقي بالتكبير والحمد. وأخيراً أصبح النصر حقيقة.

(١) و (٢) الرديني‍ات: رماح نسبت إلى ردينة، وهي امرأة كانت مع زوجها تصلح الرماح في اليمامة. طرح: رمى. يُخاطب الشاعر الأمير منوّهاً بشجاعته، فقد رمى الرماح لأنها تحول بينه وبين عدوّه، ولا مجال لاستعمالها في حال الالتحام المباشر، والشجاع من يستعمل السيوف لشدّة الالتحام وللتأكيد على الشجاعة الحقّة، وكأنه في هذه الحالة قد رذل الرماح؛ فالشتم كان من جهة السيف للرمح. والقاعدة أن النصر المظفّر العظيم لا يكون إلّا بالسيوف المرهفة الخفيفة عكس الرماح الثقيلة، والفتح لا يكون إلّا بمفتاح بسيط يحمله خبير باستعماله عليم بصفاته، إنه بلا ريب الصارم القاطع.

(٣) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٦٦. نثر: فرّق. الأحيدب: جبل الحدث. يخاطب الشاعر الأمير بأنه قام بأمر عظيم، فقد فرّق جموع الروم ونثرهم، فإذا بجبل الأحيدب، وقد تكلّل بأجساد القتلى، وكأنه عروس يوم فرحتها، وقد نُثرت عليها الدراهم، والنظارة يتسارعون إلى التقاط ما يستطيعون من تلك الدراهم، فرحين بأكبر قدر ممّا يجمعون.

(٤) وكر الطائر: عشّه حيث يبيت. الذرى، الواحدة ذروة: القمم. يتابع الشاعر إتمام

تَـظُـنُّ فِـرَاخُ الْـفُـتْـخِ أَنَّـكَ زُرْتَـهَـا
بِـأُمَّـاتِـهَـا وَهْـيَ الْـعِـتَـاقُ الـصَّـلَادِمُ[١]
إِذَا زَلِـقَـتْ مَـشَّـيْـتَـهَـا بِـبُـطُـونِـهَـا
كَـمَـا تَـتَـمَـشَّـى فِـي الـصَّـعِـيـدِ الْأَرَاقِـمُ[٢]
أَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ ذَا الـدُّمُـسْـتُـقُ مُـقْـدِمٌ
قَـفَـاهُ عَـلَـى ٱلْإِقْـدَامِ لِـلْـوَجْـهِ لَائِـمُ[٣]
أَيُـنْـكِـرُ رِيـحَ ٱلـلَّـيْـثِ حَـتَّـى يَـذُوقَـهُ
وَقَـدْ عَـرَفَـتْ رِيـحَ ٱلـلُّـيُـوثِ الْـبَـهَـائِـمُ[٤]

= الصورة التي كان عليها الأمير وجيشه يُتابعون الروم المهزومين الفارّين، فيُمعنون قتلاً فيهم، والروم يمعنون هرباً، وجثث قتلاهم تقع صرعى، والأمير لا يني ولا تفتر همّته حتى صعد مع جنده إلى ذرى ذلك الجبل حيث وكور الجوارح من الطيور، وأشلاء قتلى الروم تتزايد كلّما تقدم جيش الأمير وأوغل صعوداً؛ إنه طعام وفير لأمثال تلك الطيور.

(١) الفتخ، الواحدة فتخاء: إناث العقبان. الأمات، الواحدة أم: في ما لا يُعقل. العتاق: كرام الخيول. الصلادم، الواحد صلدم: الفرس الشديدة الصلبة. إنها المفاجأة التي لم تكن في الحسبان؛ ففراخ الفتخ تنتظر أماتها لتأتي لها بما تقتات به، فإذا بجيش الأمير يُوفّر لها المأكل فظنّت أن خيول الجيش القويّة السريعة أماتها وقد أتتها بما يُشبعها.

(٢) الصعيد: وجه الأرض. الأراقم، الواحد أرقم: الحيات فيها سواد وبياض. ولصعوبة مرتقى ذلك الجبل، إذا بتلك الخيول تنزلق، ولا بدّ من متابعة الفارّين من جنود الروم، فكان أن أجبرت على الزحف على بطونها لصعوبة المرتقى ومزالقه الخطيرة، فبدت الخيول كأنها حيّات تتلوّى بتلوي الأرض وتنحرف بانحرافها.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٦. الدمستق: قائد جيش الروم. يسخر الشاعر من الدمستق ومن محاولاته المتعدّدة للنيل من الأمير وجيشه، فإذا به يعود يجرّ وراءه هزائمه المتكرّرة وقد حمله طمعه على الإقدام ليندحر ويُسلّم قفاه لجيش الأمير، فإذا بقفاه يلعن مقدمه.

(٤) الليث: من أسماء الأسد. يذوقه: يجرّبه. يُتابع الشاعر سخريته بالدمستق، إنه لم يتّعظ من محاولاته السابقة، فإذا به يعيد المحاولة، مرّة تلو مرة؛ فمن طبيعة سائر =

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَٱبْنِ صِهْرِهِ
وَبِالصِّهْرِ حَمْلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ(١)
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَى
بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ(٢)
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ
عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ(٣)
يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ
وَلٰكِنَّ مَغْنُوماً نَجَا مِنْكَ غَانِمُ(٤)

= الحيوانات إذا أحسّت بوجود الأسد جمدت من هيبته وقوّة بطشه، فإذا بها تنكفئ على نفسها مؤثرة السلامة، فلم يمنعها كونها من البهائم من أن تحترس لنفسها، فما بال الدمستق لم يتّعظ بأمثاله الحيوانات أمام الأسد الملك العظيم سيف الدولة؟

(١) فجعته: رزأته. الصهر: أهل بيت المرأة. الغواشم، الواحدة غاشمة: الظالمة. يُخاطب الشاعر الأمير بأنه أصاب مقتل الدمستق بأسره ابنه وصهره زوج ابنته، وهما أعزّ ممّا لديه بمغامرته المجنونة، فضلاً عن أنه عرّض نفسه للخطر، ولولا أنه فرّ للقي مصيراً بئيساً لا يرحم، ذلك أن حملات الأمير قوية لا ترحم لقوّة بطشه حيث لا هوادة.

(٢) الظبى، الواحدة ظبة: حدّ السيف. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. المعاصم، الواحد معصم: أطراف السواعد، يُردف الشاعر منذّداً بالدمستق، فقد هرب وترك أصحابه يتحمّلون وزره ويتلقّون مصيره بدلاً منه، لذا فهو يشكر لهم تضحياتهم التي دفعوا ثمنها غالياً من أرواحهم وأجسادهم، فإذا برؤوسهم تزرع الأرض ومعاصمهم تتناثر في كلّ مكان من صعيدها.

(٣) المشرفية: السيوف. يتابع الشاعر سخريته بالدمستق، فهو تارة يفهم، لقد سمع أصوات صليل السيوف، فأدرك أنه الموت فجدّ بالفرار موقناً أن أصحابه هالكون حتماً، ولقد سمعها بإحساس الجبان علماً أن تلك الأصوات لا تفهم، فلغتها خرساء لا تبين.

(٤) يُخاطب الشاعر الأمير، لقد سرّ الدمستق بما حصل له، رغم أنه قد ضحّى بجنوده وعتاده وسلاحه، فكانوا فداءً له؛ ولقد قارن بين الخسارة والربح، فإذا به يسري نفسه رابحاً لنجاته ممّا يدلّ على عدم الشعور لديه بالذنب وعدم المسؤولية إنها الأنانيّة المقيتة والوصولية بأسوأ صورها.

وَلَسْتَ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ
وَلٰكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ(١)

تَشَرَّفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ
وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ(٢)

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ
فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ(٣)

وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى
فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ(٤)

عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ
إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ الْغَمَاغِمُ(٥)

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُغْمَداً
وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمُ(٦)

---

(١) يُخاطب الشاعر الأمير، فالأمير يمثل الإسلام جوهراً حيًّا بصراعه مع الشرك وعدوانيته وغطرسته الكاذبة المتمثّلة بالدمستق، الذي تتمثّل فيه القيادة الفاشلة الرعناء، فانتصار الأمير انتصار الإسلام.

(٢) عدنان: أبو العرب. ربيعة: قبيلة الأمير. يرى الشاعر أن سيف الدولة مفخرة سائر العرب، فالفخر يعود إلى عدنان، وهم أصل العروبة، وليس فقط ربيعة قبيلة الأمير، بل سائر العرب يفخرون إلى من انتموا، فالنصر عربي ولكل قطر عربي.

(٣) يقصد الشاعر بالدرّ شعره، فالأمير من تتجسّد فيه البطولة والشاعر يصوغ تلك الأعمال بما توحيه له من مثل عظيمة تمثّلت بسيف الدولة.

(٤) و (٥) تعدو: تجري. الوغى: الحرب. يخاطب الشاعر الأمير مقرًّا بفضله، فلقد منّ عليه بالخيول العربية التي حملته على مشاركة الأمير في حروبه، لذا فهو شاكر نعمه مقدّر له ذلك، ولا يندم على عطاياه العظيمة التي جعلت منه بطلاً وجندياً في جيش الأمير، يطير فرحاً وهو يُشارك في معاركه، ويكفيه أن يسمع النداء حتى يهبّ للقيام بدوره، فيجري لا يلتفت إلى الوراء بل يعدو بكلّ قواه ليكون في وسط الميدان إلى جانب من أحبّ.

(٦) العاصم: الحامي. يخاطب الشاعر الأمير، إنه سيف مجرد دائماً للقيام بجلائل =

هَـنِـيـئـاً لِـضَـرْبِ الْـهَـامِ وَالْـمَـجْـدِ وَالْـعُـلَـى
وَرَاجِـيـكَ وَالْإِسْـلَامِ أَنَّـكَ سَـالِـمُ(١)
وَلِـمْ لَا يَـقِـي الـرَّحْـمٰـنُ حَـدَّيْـكَ مَـا وَقَـى
وَتَـفْـلِـيـقُـهُ هَـامَ الْـعِـدَى بِـكَ دَائِـمُ(٢)

أنت لأهل المكرمات إمام

قال وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم افتتاح سنة أربع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٥م):

[الطويل]

أَرَاعَ كَـذَا كُـلَّ الْـمُـلُـوكِ هُـمَـامُ،
وَسَـحَّ لَـهُ رُسْـلَ الْـمُـلُـوكِ غَـمَـامُ(٣)
وَدَانَـتْ لَـهُ الـدُّنْـيَـا فَـأَصْـبَـحَ جَـالِـساً،
وَأَيَّـامُـهَـا فِـي مَـا يُـرِيـدُ قِـيَـامُ(٤)

= الأعمال، وهو لا يغمد ولا يعرف الراحة، بل يقود عزمه وإرادته إلى البطش بأعدائه، فلا يقدر عدوّ أن يحمي نفسه من غضبه، كما أن خوف أعدائه على يقين بأنهم مدركون من قبله.

(١) الهام، الواحد هامة: الرؤوس. العلى: المجد. يخاطب الشاعر الأمير، فالهناء والسعادة وراحة البال لسلامة الأمير، فسلامته أساس وجود مفاخره ومكارمه، فمنها أيضاً انتصاراته وضربه رؤوس أعدائه، وبه يكمّل المجد وتُزهر المعالي، والأماني له بطول العمر في ظل راية الإسلام التي رفع لواءها.

(٢) وقى: حمى. يسأل الشاعر الأمير عن سرّ رعاية اللّه تعالى له، إنه سيف الإسلام، به تقوم قواعده، وبه يقضي على أعدائه لذا فمن الطبيعي أن تدوم رعاية اللّه عز وجلّ لهذا السيف وتصونه من كل عادية من عوادي الزمن.

(٣) راع: خاف. الأنام: البشر. الهمام: الملك العظيم الهمة. سحّ الماء: صبّه. يُخاطب الشاعر الأمير مستفهماً متعجباً هل من ملك بعيد الهمّة عظيم يُمكن أن تتقاطر رسل ملوك أعدائه يطلبون عقد صلح معه مخافة بطشه وقوة جيشه، وهم يتسارعون يستجدون رضاه خاضعين مذعنين لإرادته كالغمام يسحّ سحًّا سريعاً بغزارة.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٥. دانت: خضعت. يُردف =